منوعات

MEDIA

نيكا شاكرمي

طهران ـ **صابر غل عنبري**

أفادت وكالة ميزان التابعة للجهاز القضائي الإيراني، بأن نيابة طهران قد قاضت عدداً من الصحافيين والناشطين الإعلاميين بتهمة نشر «مواد كاذبة»، استناداً إلى تقرير لقناة بي بي سي الناطقة بالفارسية، بشأن الشابة الإيرانية نيكا شاكرمي التي أعلنت عن مقتلها أثناء الاحتجاجات التي تلت مقتل مهسا أميني عام 2022 في إيران. ولم تعلن نيابة طهران عن عدد الصحافيين والناشطين الإعلاميين الذين جرت مقاضاتهم واستدعاؤهم بتهمة «إهانة نظام الحكم والدعاية ضده في العالم الافتراضي»، بعد نشر تقرير عن نيكا شاكرمي لـ«بي بي سي» الفارسية وصفته بأنه «مزور». وتوعدت النيابة الإيرانية كل من قالت إنهم يستهدفون «زعزعة الأمن النفسي للمجتمع» بالمقاضاة والمحاكمة وتشكيل ملفات قضائية بحقهم، واستدعائهم إلى العدلية لتقديم إيضاحات. كانت «بي بي سي» الفارسية قد بثت، الثلاثاء، تقريراً قالت إنه يستند إلى «وثائق سرية» حصلت عليها بشأن مقتل الشابة الإيرانية نيكا شاكرمي أثناء الاحتجاجات التي اجتاحت إيران نهاية عام 2022 على خلفية وفاة الشابة مهسا أميني بعد أيام من احتجازها من قبل شرطة طهران بسبب عدم تقيّدها بقواعد الحجاب. وأفادت القناة بأن الوثائق التي حصلت عليها من استخبارات الحرس الثوري الإيراني عن تحقيقات داخلية بشأن ما حصل مع شاكرمي تشير إلى أنها تعرّضت للاعتداء الجنسي بعد احتجازها داخل سيارة من قبل ثلاثة عناصر من قوات الأمن.

اليوم العالمي لـ«قتل» الصحافة في غزة

بينما يحلّ اليوم العالمي لحرية الصحافة على العالم بهدوء، ها هو يمرّ في قطاع غزة بين الركام والشهداء من الصحافيين الذين قضوا بينما يؤدون واجبهم، ويعيشه الأحياء منهم في ظروف قاسية نتيجة عدوان الاحتلال الإسرائيلي

غزة ـ **يوسف أبو وطفة**

يجيء اليوم العالمي لحرية الصحافة مع استمرار عدوان الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة، في ظل واقع هو الأسوأ عالمياً، نظراً إلى الانتهاكات المستمرة بحق الصحافيين الفلسطينيين، وتوقف عمل عشرات المؤسسات الإعلامية المحلية عن العمل؛ إذ عمد الاحتلال إلى استهداف غالبية المؤسسات الإعلامية، وقصف مقارها، أو سيارات البث التابعة لها. لا ينسى الصحافي الفلسطيني، محمد قريقع، تفاصيل الاعتداء الذي تعرض له هو ومجموعة من الصحافيين الفلسطينيين خلال ثاني اقتحام قوات الاحتلال الإسرائيلي لمجمع الشفاء الطبي في مدينة غزة. يحتفظ الصحافي الفلسطيني، وعشرات الصحافيين في القطاع الذي يعيش على وقع حربٍ إسرائيلية مدمرة، يوشك شهرها السابع على الانتهاء، بذكريات سيئة نتيجة الاستهداف الإسرائيلي المتكرر. فمنذ بداية حرب الإبادة على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة في السابع من أكتوبر/تشرين الأول الماضي، استشهد 141 صحافياً فلسطينياً، وأصيب العشرات غيرهم، إضافة إلى عمليات الاعتقال التي طاولت عدداً منهم.

يلفت محمد قريقع في حديث إلى «العربي الجديد»، إلى أن اليوم العالمي لحرية الصحافة، يتزامن هذا العام مع تحديات شتى يعيشها الصحافي الفلسطيني، خصوصاً مع استمرار عدوان الاحتلال الإسرائيلي. يستحضر قريقع ما واجهه في مجمع الشفاء الطبي خلال الاقتحام الثاني له قبل نحو شهرين، إذ أوقف بشكل يتنافى مع القيم والأخلاق الإنسانية، والاتفاقات التي تحفظ حقوق الصحافيين. يقول: «لقد تعرضنا إلى اعتداء وحشي وغير مسبوق بأعقاب البنادق، بعدها أجبرنا على خلع ملابسنا والخروج عراة تحت النار، فيما جرى اعتقال آخرين. كما عن تعرضنا إلى استهدافات سابقة خلال تغطيتنا الميدانية للأحداث، رغم ارتداءنا سترة الصحافة».

يشير إلى أنّهم تعرضوا إلى استهدافات عديدة خلال التغطية الميدانية، على الرغم من ارتدائهم السترة الصحافية، التي لم تحمهم من الاستهداف، في ظل تجاهل إسرائيلي للقوانين الدولية التي تكفل الحق في العمل الصحافي. يفوق عدد الصحافيين الذين قتلتهم القوات الإسرائيلية في قطاع غزة خلال أوّل شهرين من العدوان عدد الصحافيين الذين قتلوا في الحرب العالمية الثانية وحرب فيتنام، وكذلك الحرب الكورية. وفقاً لمؤسسة منتدى الحرية، ومقرها واشنطن، فقد 69 صحافياً حياتهم خلال سنوات الحرب العالمية الثانية الست، التي أودت بحياة عشرات الملايين من البشر. أما المصور الصحافي أحمد الدنف، فيقول إنّ «اليوم العالمي لحرية الصحافة يبدو يوماً عادياً، في ظل الظروف الصعبة التي يواجهها والعمل الميداني المحفوف بالخطر». ويتابع الدنف في حديث إلى «العربي الجديد» إن «الصحافي في غزة يواجه العديد من المخاطر، منها التعرض المباشر إلى نيران الصراع، وأيضاً الضغط العاطفي والنفسي الناتج عن مشاهدة الدمار والخسائر البشرية، في الوقت الذي يتطلب فيه العمل جاهزية ذهنية وجسدية». ويشير إلى أن معاناة الصحافي الفلسطيني تتمثل في السيطرة على المشاعر في ظل المشاهد التي يصورها وينقلها، إضافة إلى بعده عن العائلة، ما ينعكس بسوء نفسياً عليه.

> استُشهد 141 صحافياً فلسطينياً وأصيب العشرات غيرهم

يتعرّض الصحافيون إلى استهدافات متعمّدة خلال تغطيتهم الميدانية (عبد زقوت / الأناضول)

وبحسب المصور الصحافي، فإن هناك أشكالاً متنوعة للمعاناة تتمثل في نقص الإمكانيات، وصعوبة الحصول على المعلومات، والوصول إلى الإنترنت، في ظل تدمير البنية التحتية للقطاع خلال الحرب الحالية. كما يلفت إلى أن العدوان أظهر حجم المخاطر المتمثلة في صعوبة الحركة لتغطية الأحداث، في ظل عمليات القصف الإسرائيلية المتواصلة التي تستهدف الصحافيين الفلسطينيين.

ويؤكد نائب نقيب الصحافيين الفلسطينيين، تحسين الأسطل، أن الاحتلال الإسرائيلي، وضمن حرب الإبادة التي يشنها على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، عمد إلى تدمير الحياة الصحافية في القطاع. ويقول الأسطل لـ«العربي الجديد» إن الاحتلال دمّر منذ بداية الحرب على قطاع غزة أكثر من 200 مقر ومكتب تتبع لمؤسسات صحافية وشركات إنتاج وقنوات محلية وإذاعات وصحف محلية ووكالات أنباء، لافتاً إلى أنّ ذلك أدى لتوقف عمل عشرات المؤسسات الصحافية، وحوّل ساحات المستشفيات إلى ميدان عمل للصحافيين. ويرى الأسطل أن تدمير المؤسسات الصحافية جاء استمراراً لنهج الاحتلال الإسرائيلي في تدمير الحياة المدنية والبنية التحتية، وهو أمر يهدف إلى إضعاف التغطية الصحافية لحرب الإبادة على القطاع. كما يشدد على أن المطلوب هو المضي قدماً في ملاحقة الاحتلال بمختلف المحاكم والمؤسسات الأممية الدولية.

صحافيون سوريون بأسماء ووجوه مستعارة

دمشق ـ **ليث أبي نادر**

مع حلول اليوم العالمي لحرية الصحافة، يعود الحديث عن الوضع الصعب للعاملين في الإعلام في مناطق سيطرة النظام السوري وخارجها، الذين يعملون تحت أسماء مستعارة خوفاً على حياتهم من بطش السلطات، وخشيةً من قوانين صُنعت لكمّ الأفواه. «حرية الصحافة قد تؤدي إلى رصاصة تنهي حياة الصحافي الذي يؤمن بها، أو قد تصير قيداً يكبل معصميه إن سعى لتطبيقها. إنّه مصطلح قد يكلف الصحافي حياته»، بحسب ما قاله الصحافي علي الحسين في حديث مع «العربي الجديد». بدوره، يحكي رافد السيد (اسم مستعار لناشط إعلامي) لـ«العربي الجديد» عن اعتقاله ثلاث مرات، راوحت فيها المدة التي قضاها في السجن بين أسبوع وثلاثة أشهر، واجه خلالها الضرب والتعذيب نتيجة عمله، ما أجبره على العمل بسرية، واللجوء إلى اسم مستعار لضمان أمنه الشخصي.

يشير السيد إلى أن سلطات النظام السوري «تعتقل العاملين في الحقل الإعلامي تحت تهم جاهزة بعيدة كل البعد عمّا يثير تعاطف المجتمع الدولي والمجتمع المحلي»، ويتضمن ذلك «الاتجار بالمخدرات، والتزوير، والتخابر مع جهات معادية، أو أي تهمة جنائية أخرى». وكانت الشبكة السورية لحقوق الإنسان، قد وثقت في تقريرها بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة في عام 2023، مقتل 715 صحافياً وناشطاً، من بينهم 52 تحت التعذيب، منذ عام 2011 على يد أطراف النزاع والقوى المسيطرة في سورية. بينما سجلت منذ العام الماضي وحتى اليوم ملاحقة واعتقال 10 صحافيين وناشطين في مناطق سيطرة النظام، من بينهم أربعة من العاملين في مؤسسات الإعلام الرسمية التابعة للنظام. بدورها، تقول جمانة العلي (اسم مستعار) التي تعمل في مكتب إعلامي في إحدى المؤسسات الحكومية في دمشق، إنّها تستعمل اسماً مستعاراً للكتابة في موقع صحافي مستقل مخافة أن تتعرض لملاحقة أمنية. وتلفت في حديث لـ«العربي الجديد» إلى أن الجهات الأمنية استدعتها مرتين بعد تسريب ملفات تتعلق بقضايا فساد في المؤسسة التي تعمل فيها، وانتشارها على وسائل التواصل الاجتماعي.

> قُتل في سورية 715 صحافياً من بينهم 52 تحت التعذيب

في مدينة إدلب، أكتوبر 2023 (الأناضول)

في منتصف الشهر الماضي، أصدر الرئيس السوري بشار الأسد مرسوماً بمجموعة من التعديلات التي طاولت قانون الإعلام، إلا أن رئيس اتحاد الصحافيين التابع للنظام، موسى عبد النور، وصف التعديلات الجديدة، خلال لقاء مع إحدى الإذاعات المقربة من السلطة، بأنها «لا تلبي الطموح على الإطلاق، وفيها تراجع كبير في ما يتعلق بالبيئة التشريعية لممارسة مهنة الإعلام في سورية». وأشار عبد النور إلى بعض التغيّرات «الطفيفة» التي أدخلت على القانون، فحذفت صفة «المستقل» للإعلام من الفقرة «يؤدي الإعلام بوسائله كافة رسالته بحرية»، مشيراً إلى أن كلمة «مستقل» المحذوفة «تعبّر عن توافق القانون مع المعايير المتعارف عليها دولياً في ما يتعلق بممارسة العمل الإعلامي».

كذلك حذفت الفقرة ألف من المادة السابعة، التي تقول إن «حرية الإعلامي مصونة بالقانون ولا يجوز أن يكون الرأي الذي ينشره الإعلامي سبباً للمساس بهذه الحرية إلا في حدود القانون»، واستبدلت بعبارة: «حرية الإعلامي مصونة في إطار المبادئ والقيم» فقط، لكون ذلك يجرد الإعلامي من حصانته قانونياً، حتى وإن كانت هذه الحصانة سجينة النص من دون تطبيق. إضافة إلى حذف الفقرة باء من المادة نفسها، التي تقول: «لا يحق لأي كان مطالبة الإعلامي بإفشاء مصادر معلوماته إلا من طريق القضاء وفي جلسة سرية»، ما يعرّض سرية المصادر للتهديد.

كذلك، شهدت التعديلات حذف المادة الـ101 المتعلقة بالإجراءات التي تتخذ بحق الصحافي في حال مخالفة أحكام القانون: «في جميع الأفعال التي تشكل جرائم ويقوم بها الإعلامي في معرض تأدية عمله باستثناء حالة الجرم المشهود، لا يجوز تفتيشه أو تفتيش مكتبه أو توقيفه أو استجوابه إلا بعد إبلاغ الوزارة أو فرع اتحاد الصحافيين لتكليف من يراه مناسباً للحضور مع الإعلامي».

تظاهرة

رغم كل محاولات القائمين على بينالي البندقية أن يُقصوا الحضور الفلسطيني من التظاهرة الفنية، فإن فلسطين حضرت في أعمال عدد من الفنانات، وفي معرضين أيضاً

بينالي البندقية
فلسطين حاضرة كما لم يحدث من قبل

ريم ياسر

منذ بداية عدوان الاحتلال الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، كان هناك جهد متضافر ومستمر يهدف إلى إسكات الأصوات الفلسطينية، أو التعتيم على الفنانين المتضامنين مع فلسطين. ولم يكن بينالي البندقية بعيداً عن هذه السياسة الإقصائية والمتحيزة؛ فالحضور الفلسطيني كان مهدداً بالاستبعاد خلال الترتيبات الأخيرة التي سبقت افتتاح البينالي. وبعد جهود مضنية، وافقت إدارة البينالي على تنظيم معرض لأعمال الفنانين الفلسطينيين، يشرف عليه متحف فلسطين في الولايات المتحدة الأميركية. يضم المعرض أعمالاً لـ25 من الفنانين الفلسطينيين، بينهم الفنانة سامية الحلبي التي حظيت بجائزة شرفية خاصة من البينالي. كان لفلسطين حضور أيضاً في عرض آخر قدمته مجموعة «فنانون وحلفاء الخليل»، التي أسسها كل من الناشط الفلسطيني عيسى عمرو، وهو من سكان الخليل، وادم بروميرغ، وهو مصور فوتوغرافي من جنوب أفريقيا مقيم في برلين. يسلط المعرض الذي يعتمد على الصورة الفوتوغرافية الضوء على السياسات الإسرائيلية الممنهجة لتجريف الأراضي الفلسطينية وتغيير معالمها، ويخص في ذلك أشجار الزيتون برمزيتها ومكانتها في الموروث الفلسطيني.

لا يقتصر الحضور الفلسطيني على هذين المعرضين فقط؛ فالمتابع للبينالي، سيدرك أن فلسطين حاضرة هذا العام، كما لم يحدث في أي دورة من دورات البينالي السابقة، هي حاضرة في البيانات والأنشطة والتظاهرات التي تعدّ البندقية منذ افتتاح البينالي، وحاضرة في الإعلام والشارات المرفوعة في أرجائه. كانت فلسطين حاضرة كذلك في أعمال فنانين آخرين اختاروا الإعلان عن تضامنهم مع القضية الفلسطينية، عبر إشارات ورسائل صريحة في أعمالهم. بين هؤلاء، تبرز الفنانة البيروفية ساندرا غامارا (Sandra Gamarra) الممثلة لجناح إسبانيا؛ إذ أضافت اسم فلسطين إلى عملها التركيبي الموزع على خمس مساحات داخل الجناح. في عمل الفنانة الإسبانية، تظهر صور لمهاجرين مرسومة على ألواح شفافة مثبتة على قواعد صلبة منتشرة حول غرفة مشرقة. حولت الفنانة هذه الغرفة إلى متحف على الطراز الغربي، ولكن بدلاً من عرض الفن الغربي، تقدم الفنانة نماذج لفنون المهاجرين، إلى جانب روايات موثقة عن مآسي الهجرة والاستعمار.

يُقام في البينالي معرض يضم أعمالاً لـ25 فناناً فلسطينيا

تنحدر غامارا من عائلة هاجرت من أميركا الجنوبية إلى إسبانيا في تسعينيات القرن الماضي، وهي المرة الأولى التي تمثل فيها فنانة ليست إسبانية المولد الجناح الإسباني. من الفنانين الآخرين الذين تضمّنت أعمالهم رسائل إلى فلسطين، تأتي الفنانة دانييلا أورتيز (Daniela Ortiz) الممثلة لجناح دولة البيرو. العمل الذي تعرضه أورتيز عبارة عن شريط فيديو لمسرح العرائس، تحت عنوان «سطوع أوروبا الجشعة». في الفيديو الذي تقدّمه الفنانة البيروفية، يظهر علم فلسطيني صغير في زاوية الشاشة، مكتوب عليه «قاطعو الجناح الإسرائيلي.. فلسطين حرة». تقول الفنانة إن مشاركتها كانت متواضعة للغاية، غير أن أهم شيء فيها كان وضع العلم الفلسطيني، والدعوة إلى مقاطعة الجناح الإسرائيلي، وكل شيء آخر كان يبدو ثانوياً بالنسبة لها، كما تقول. تضيف الفنانة أن الدعوة إلى تحرير فلسطين يجب أن تكون أولوية مطلقة في أي عمل فني، أو قرار سياسي وثقافي، أو مساحة عمل. يحكي عرض العرائس الذي تقدمه الفنانة قصة رجل فقير يتعرض إلى اضطهاد، يمارسه رئيس عمله في إحدى شركات التعدين في البيرو. نتيجة لذلك، يقرر الرجل الهجرة إلى أوروبا، التي يراها بقعة مضيئة في عالم مظلم. اعتقد الرجل أنه يستطيع هناك أن ينعم بالرخاء، لكنه بدلاً من ذلك يواجه بالعنصرية المؤسسية والاستغلال.

رسائل تضامنية أخرى إلى الشعب الفلسطيني، يتضمنها عمل الفنانة المكسيكية، فريدا تورانزو (Frieda Toranzo)، المعروض تحت عنوان «الغضب آلة في زمن اللامعنى». في عمل تورانزو، يتكرر ظهور ثمار البطيخ، وهي رمز للتضامن مع الشعب الفلسطيني. غير أن الفنانة لا تكتفي بهذه الإشارة غير المباشرة فقط؛ إذ تضيف إلى هذه الرسومات نقشاً واضحاً لعبارة «تحيا فلسطين» (VIVA PALESTINA) على إحدى هذه الثمار. تقول الفنانة في تعليقها على العمل: «هي رسالة واضحة ضد الاستعمار والنضال من أجل مستقبل أفضل للبشرية، مستقبل خال من العنصرية والإبادة الجماعية». وكانت المشاركة الإسرائيلية في بينالي البندقية محوراً للعديد من السجالات والبيانات الداعمة لفلسطين. ففي فبراير/شباط الماضي، أصدر تحالف الفن وليس الإبادة الجماعية رسالة مفتوحة تطالب باستبعاد إسرائيل من المشاركة في البينالي. جمعت هذه الرسالة أكثر من 24 ألف توقيع، غير أن وزير الثقافة الإيطالي، جيانارو سانجيوليانو، استبعد إمكانية منع إسرائيل من المشاركة في البينالي. وقد أثار هذا القرار اعتراض النشطاء الذين اتخذوا من الجناح الإسرائيلي المغلق جزئياً نقطة انطلاق لمسيراتهم الداعمة لفلسطين.

قرر فريق العمل المسؤول عن الجناح الإسرائيلي إغلاقه حتى يجري وقف إطلاق النار و«تحرير الرهائن». وهو سلوك وصفه بعضهم بالدعائي والانتهازي، فالقائمون على الجناح لم يشجعوا الحرب، ولم يعترفوا بحق الفلسطينيين في التحرر، بل يتبنون الأسباب والمبررات نفسها التي يُعلنها النظام الإسرائيلي لهذه الجريمة. في بيانه، وصف تحالف الفن وليس الإبادة الجماعية الإجراء الذي اتخذه القائمون على الجناح الإسرائيلي بأنه سلوك انتهازي، يهدف إلى الحصول على أقصى قدر من التغطية الصحافية. يقول البيان إن القائمين على الجناح الإسرائيلي أغلقوا إغلاقه، لكنهم تركوا أعمال الفيديو معروضة أمام الجمهور، ويمكن رؤيتها من خلال الزجاج.

معتصمان أمام الجناح الإسرائيلي في بينالي البندقية، ابريل 2024 (ستيفانو مازولا/Getty)

ما هو مستقبل الفن؟

شهد افتتاح بينالي البندقية أنشطة نظمها أعضاء تحالف «الفن وليس الإبادة الجماعية»؛ إذ شاركوا في الفعاليات المصاحبة لمعرض الفنانين الفلسطينيين. كما وزع عدد من الناشطين بيان التحالف الذي يحمل عنوان «ما هو مستقبل الفن؟.. بيان ضد حالة العالم»، يدعو إلى التخلص من رواسب الاستعمار واستعادة الفن أداةً مهمةً للمقاومة، ويشير البيان إلى أن فلسطين ليس لها جناح لأن إيطاليا لا تعترف بها دولةً ذات سيادة.

إضاءة

37 مليون طن من الأنقاض

عقار فراس

أعلنت الأمم المتحدة أن حجم الأنقاض في قطاع غزة بعد مرور ستة أشهر من عدوان الاحتلال الإسرائيلي، قد بلغ 37 مليون طن، وأنها تحتاج إلى 14 عاماً على الأقل لإزالتها. صور الخراب التي تنشر يومياً من القطاع تكشف حجم المقتلة، لكن 37 مليون طن من الصعب تخيّلها، رقم 37 مليون طن لا يمكن تخيله على امتداد مساحة قطاع غزة؛ فما من كاميرا قادرة على التقاط «كل الخراب»، لكن هكذا رقم يقارب ثلاثة ملايين و700 ألف برج إيفل (يقدّر وزن البرج بعشرة أطنان)، ونحو ستة أهرامات تطابق وزن هرم خوفو، وبالإمكان ضرب أمثلة لا متناهية عن مقارنة الأوزان.

الهدف من هذه المقارنة هو خلق متخيل لحجم الدمار الذي تعرّض له قطاع غزة، بعيداً عن صور الدرون. ناهيك عن أننا نقارن مع معالم شهيرة، لا تحوي بشراً، ولا بيوتاً، مجرد صروح ذات قيم رمزية وتاريخية ووطنية. أما في حالة قطاع غزة، فنحن نتحدث عن عشرات الآف القتلى والجرحى، وحيوات بأكملها تلاشت بين الركام.

الكم الهائل من الركام، أي الأطنان، ما زال تحتها مفقودون، وذكريات، وأخرون لا نعرف أسماءهم. خراب قطاع غزة دليل لا شك فيه على ماكينة القتل المتوحشة التي يوظفها الاحتلال الإسرائيلي لإبادة الفلسطينيين في قطاع غزة. الكمّ هنا، الذي نعجز عن تخيله تفيد المقارنة في إدراكه. تخيل أن تدمر إسرائيل ثلاثة ملايين و700 ألف برج إيفل، وستة أهرامات. لا وصف لهذه الجريمة بعد، ولا عقوبة عليها في القانون. الأعوام الـ14 المقدر أن يستغرقها إخراج الركام من قطاع غزة، هي عمر جيل بأكمله. جيل قد يرى نفسه منشغلاً بإعادة البناء، والبحث عمن ذهبوا. جيل يتلمس الخراب عن قرب، خراب بلاده نفسها، ذاك الموزع على كل مساحة القطاع، الذي دمّر باستخدام الذكاء الاصطناعي وقتل كل ما يتحرك سواء.

يتضح قتل الحياة بدقة عند تأمل الخراب، خصوصاً أن 10% من ذخائر الحرب لا تنفجر عادة، حسب المسؤول في دائرة الأمم المتحدة للأعمال المتعلقة بالألغام، نير لودهامار. وبعملية حسابية بسيطة، نكتشف أنه من أصل 70 ألف طن من القنابل التي ألقيت على قطاع غزة، حسب أحد التقديرات بداية هذا العام، هناك نحو سبعة آلاف طن لم تنفجر، موزعة بين الركام والأشلاء. هذه الألغام والأفخاخ ستفتك بجسد الغزيين، وكل من يحاول أن يزيح الركام لبناء حياة ستبقى مهددة. هذه الألغام الموزعة في أنحاء القطاع، تمثل امتداداً للإبادة عبر الزمن. هي تهديد لأشكال الحياة المستقبلية، إذ لا نعلم مقدار ضررها وقدرتها التدميرية، حتى ولو تدخلت هيئة الأمم المتحدة لنزع الألغام، وباشرت عملها. كيف سنواجه أمّاً بعد 14 عاماً، ولد رضيعها أثناء الحرب، وفقدته إثر «قذيفة» انفجرت؟ أنقول هذه مخلفات الحرب؟ أنشير إلى القاتل المعروف؟ اسم من سيكون مكتوباً على هذه القذيفة التي لم تنفجر إلا بعد 14 عاماً؟

كل هذه الأسئلة تفتح الباب على احتمالات وحذلقات قانونية لا تنتهي، بل والأدلة قد تكون واضحة، إذ يلتقط الجنود الإسرائيليون صوراً لأنفسهم مع القذائف وهم يكتبون عليها أسماء أطفال قطاع غزة. لكن نعلم ما سيحصل، لتكون هذه القذيفة/اللغم دليلاً على الإدانة، لا بد من رصدها من لحظة إطلاقها، حتى وقوعها، ثم اختفائها في الدمار، ثم انفجارها. كل هذا مطلوب لنثبت، أن إسرائيل تقتل الفلسطينيين. هناك عملية حسابية أخرى أشد مأساوية وأكثر تعقيداً. هناك 300 كيلوغرام من الركام في المتر المربع، حسب تقديرات الأمم المتحدة، بالتالي، إن أردنا توزيع السبعة الآف طن التي لم تنفجر على طول مساحة القطاع، كم لغماً سيكون هناك في كل متر مربع؟

سيحتاج الركام والانقاض إلى 14 عاما على الاقل لازالتها

في مخيم النصيرات، 18 إبريل 2024 (علي جاد الله / الأناضول)

وثائقي

دابليو. كاماو بيل... عن عالم أقسى بكثير

بدر العقباني

دابليو. كاماو بيل (W. Kamau Bell) مخرج وكوميدي أميركي من أصول أفريقية. أثبت موهبته على مدار السنوات السابقة. أسلوبه مألوف وغير منفصل عن تاريخ الكوميديا الارتجالية في أميركا. يروي بيل في عروضه الكوميدية وبرامجه الإذاعية الأحداث الفاصلة والمؤثرة في الثقافة الشعبية في بلده، ذلك عبر صدم الجمهور بكلامه الصريح غير المنمق، إذ يدخل إلى صلب قناعاتنا ومبادئنا ويقلبها رأساً على عقب، حتى تصبح قابلة للسخرية.

اشتهر بيل كسفير اتحاد العدالة العرقية في أميركا، وأنتج العديد من البرامج التي تناولت جوانب اجتماعية حساسة في تاريخ الولايات المتحدة المعاصر، كان أشهرها سلسلة United Shades of America الحاصلة على جائزة إيمي، وبرنامجه التلفزيوني المكون من أربع حلقات We Need to Talk About Cosby؛ إذ حلل فيه سيرة حياة بيل كوسبي الذي صعد في الستينيات بتلاعبه على ثنائية أبيض/أسود، ثم انحداره المخزي الذي انتهى بإدانته في عام 2018 بتهمة تخدير واغتصاب أكثر من امرأة.

بيل موهوب في إيصال رؤيته الشخصية للعالم عبر تجربته اليومية المعيشة. كل نكاته تتمحور حول تفاصيله اليومية داخل أسرته. يتحدث عن ابنته حين تستيقظ على صوت ترامب وهو يخطب على التلفاز، وعن أمه التي تعتبر أن أوباما نكتة بيضاء سمجة، وعن الأبوة والأمومة في مجتمع تفشت فيه الصوابية السياسية إلى غير رجعة، حين ألقى خطاباً كسفير للعدالة شبّه المطالبة بالعدالة العرقية بالبحث عن عملة معدنية في كومة من البراز.

عودتنا إلى الرجل وأعماله في ضوء الانقلاب الاجتماعي الحاصل في الولايات المتحدة وأوروبا، ضرورية لفهم العوامل التي أثرت على بناء وتغيير جيل كامل قد يلعب دوراً أساسياً في تعديل سياسة أميركا الداخلية والخارجية في المستقبل، وهذا ما بدأنا نرى آثاره في الجامعات كفاتحة، لعلها تكون خيراً على البشرية في المستقبل.

في فيلمه الوثائقي الأخير Me: Growing% Up Mixed1000 إنتاج HBO، يتّبع بيل أسلوباً جديداً في قول ما يريد، إذ يجري مقابلات مع عشرة أطفال مختلطي الأعراق. في البداية مع بناته الثلاث، ثم تظهر زوجته ميليسا ذات البشرة البيضاء في مقابلة منفصلة، ولاحقاً نقابل الجدات. يطرح أسئلة خفيفة لا تخلو من الكوميديا، كسؤاله للأطفال عن المكونات التي يتألفون منها، فنسمع أجوبتهم الغريبة.

يقدم العمل مجموعة عرقية متنوعة لا تقتصر على أم بيضاء وأب أسود أو العكس، إذ هناك مجموعة من الأطفال ينحدرون من دول وديانات وإثنيات مختلفة، ومنهم أبناء مهاجرين غير ناطقين باللغة الإنكليزية. على الرغم من تنوع العينة التي قابلها بيل، إلا أنها لم تخرج من دائرة المعارف والأصدقاء في منطقة خليج سان فرانسيسكو. جميع هذه الأسر من الطبقة الوسطى العليا، وينتمون إلى أحزاب ليبرالية، يتمتعون بامتياز التعليم والعيش في منطقة يوجد فيها العديد من العائلات متعددة الأعراق.

الفيلم يعبر عن نفسه كرحلة لاكتشاف وجهة نظر الأطفال عن العنصرية، وكيف يمكن أن تتعاون العائلة لتحضير صغيرها لما قد يقابله من عنصرية في حياته. ثمة مقابلات مع آباء وأمهات الأطفال يتحدثون فيها عن نشأتهم في عالم ذي عقلية كولونيالية يتربع الرجل الأبيض على قمة هرمه العنصري، عالم أقسى بكثير من عالم هؤلاء الأطفال. يحاول بيل بإجاباته أن يقنع الأطفال بأنهم «كمختلطي أعراق» يملكون القدرة على إنقاذ العالم، بحجة أنهم لا ينتمون عرقياً لأحد ما بشكل كامل، ويقفون بين عدة عوالم وهويات. هذه الفكرة على الرغم من سذاجتها، إلا أنها تلاقي نجاحاً كبيراً في الأوساط الفنية أخيراً، وتحديداً في عالم الأمني الياباني.

لم ينجح بيل، بالرغم من كل الفرص المتاحة له، بالتعمق ببنية المجتمع الذي يفرز هذه العنصرية والقوى المحركة له، وكيفية معالجتها أو مواجهتها حتى لو بالكوميديا. كان الفيلم وبالرغم من خفته وقصر مدته (ساعة واحدة فقط) سطحياً من جهة، وحالماً من جهة أخرى، يتحدث عن هذه المشاكل، ولا يفكر في حلها أو تحليلها.

يقوم الوثائقي على مقابلات مع أطفال مختلطي الأعراق

جاء الفيلم سطحيا وحالما (كيفين وايت / Getty)

دردشة

هيربي هانكوك... عندما يأتي الناس للاستماع إلى الجاز

للمرّة الأولى تستضيف مدينة أفريقية فعاليات الاحتفال باليوم العالمي للجاز، إذ أُقيمت أخيراً في طنجة، بحضور الموسيقي هيربي هانكوك

رأى عازف البيانو الأميركي الشهير، هيربي هانكوك، أن موسيقى الجاز تشكّل حلقة وصل قادرة على تعزيز «الوحدة» و«التنوع». وشارك هانكوك، أخيراً، في حفلة أقيمت في مدينة طنجة التي اختارتها المنظمة الدولية لاحتضان اليوم العالمي للجاز، إلى جانب عدد من أبرز نجوم هذه الموسيقى، من بينهم عازف غيتار الباص ماركوس ميلر والمغنية دي دي بريدجووتر، اللذان أبهرا الحضور بأدائهما المشترك. ولاحظ هانكوك أن «العزف ضمن مجموعة ينطوي على تعبير عن تجارب حياة مجموعة من الأشخاص وتوحيد لها. وهذه التجربة الجماعية، هذا النوع من الوحدة، جزء لا يتجزأ من هوية موسيقى الجاز».

وأضاف الفنان الذي سبق أن فاز بـ14 جائزة «غرامي» خلال مسيرته: «عندما يأتي الناس للاستماع إلى الموسيقى، يمكنهم أن يشعروا بالبهجة التي تنبع منا. هذه التجربة التي يتشاركها الموسيقيون، يشعر بها الجمهور أيضاً، ولهذا السبب يملأون الصالات، لأنهم يريدون أن يشعروا بهذه التجربة». وتابع قائلاً: «هذا يعني أننا نستطيع أن نعطي المثال عما يجب أن نكون، وأين يجب أن نكون، والموسيقى تخبر بذلك». وكان هيربي هانكوك وراء استحداث اليوم العالمي لموسيقى الجاز الذي أطلق عام 2011. واعتبر الفنان البالغ 84 عاماً، مؤلّف الألبوم الشهير Head Hunters، أن موسيقى الجاز «تعمل بطريقة تتيح للناس التعرف على التنوع وتعزيزه». وحضر على مسرح قصر الفنون والثقافة في طنجة أيضاً فنانون من تشيلي والكاميرون والبرازيل واليابان، إضافة إلى «معلّم» موسيقى كناوة المغربي عبد الله الكودر الذي استهل الحفلة.

وهذا النوع الموسيقي الصوفي الذي يحظى بشعبية كبيرة في المغرب، وتعود جذوره إلى «العبيد المُرحَّلين من غرب أفريقيا، أدرجته منظمة يونسكو في عام 2019 في قائمتها للتراث غير المادي. وطبعت إقامة عازف البيانو الأميركي الشهير راندي ويستون بين 1967 و1972 في طنجة تاريخ هذه الموسيقى والمدينة الساحلية التي احتضنت خلال القرن العشرين عدداً من كبار فناني الجاز. ونشأ تعاون وصداقة بين ويستون والكودر، وتمكّن الفنان الأميركي الذي رحل عام 2018، ويُعدّ شخصية تاريخية في عالم الجاز، من إقامة جسور بين هذه الموسيقى وكناوة. وقال هانكوك الذي اكتشف موسيقى كناوة بنفسه خلال زيارة سابقة للمغرب عام 2015: «لقد أحضر ويستون (إلى الولايات المتحدة) ما ساعد في تطويره هنا في طنجة وفي مدن مغربية أخرى». وأضاف: «الجميع أعجب بنكهة هذا المناخ، وبالناس هنا». ولاحظ أنّ لإيقاع القراقب (نوع من الصناجات) «تأثيراً سحرياً على كيان» المستمع إلى هذه الموسيقى. وبعد نحو عشر سنوات، لا يزال التأثير كما كان. وفي طنجة التي أصبحت أول مدينة في أفريقيا تحتضن الاحتفال باليوم العالمي لموسيقى الجاز، شارك هانكوك حصة موسيقية مع المعلّم عبد الله الكودر، كانت «عميقة جداً إلى درجة» أن عيني الفنان الأميركي «دمعتا»، على قول مؤلّف موسيقى Rockit عام 1983. ورداً على سؤال عما إذا لديه مشروع إبداعي جديد قريباً مستوحى من موسيقى كناوة، أجاب عازف البيانو: «لا أحد يدري!».

(فرانس برس)

هانكوك: موسيقى الجاز تتيح للناس التعرف على التنوع وتعزيزه (فاضل سنا / فرانس برس)